

# دارجيلي:

## ملكة الهملايا

بقلم وعدسة دومينيك ميرل



Assam vegetables

خضراوات آسام

### دارجيلي-الهند

آه، الموقد ملتهب، وذقني دافئ؛ أوه! لقد نسيت أن أتأكد من أن النوافذ قد أغلقت كي لا تستطيع القروء البرية من الدخول، وهي مشهورة بكونها تتسلل إلى الفراش وتلتصق بك كما يدعي البعض.

لا، ليس هذا حلما صحوا ولا هلوسات غريبة. هذه ببساطة الهند، والهند ليست بسيطة مطلقا. وغدا في العاشرة صباحا سوف لا أرتدي سوى قميص بدون ذراعين ونعل، وأغرق جسيمي بمسحوق مضاد لضربة الشمس.

أنا في دارجيلي وهي، كما يقال، ملكة الهملايا في شمال شرق الهند، وفي يوم صباح، هناك منظر

وبالإضافة إلى ما تتمتع به من منظر فريد لمجمل سلسلة الهملايا، فإن شهرة دارجيلي الأخرى هي إنتاجها للشاي الذي أكسبها سمعة عالمية. وهناك أكثر من 75 مزرعة شاي تحيط بالمدينة، ويحصل الشاي على أسعار تقدر بقيمة عالية جدا في المزاد الذي يقام أسبوعيا في كلكتا ولندن قبل أن يصدر إلى أنحاء العالم، والحاصدون هم بالدرجة الأولى من النساء من دولة النيبال، وهن يحصلن على أقل من دولارين لعمل يوم كامل، وهو أجرة زهيدة ولكنها أكثر مما يمكن أن يحصلن عليه في دولتهن.

والجانب الثالث لشهرة دارجيلي هو "قطار الألعاب" الذي عمره 125 سنة، وهو ماكنة بخارية

بانورامي رائع لسلسلة الجبال كلها، وخارج المدينة يقليل، وعند موقع يعرف بـ"تل النمر" يمكن رؤية الطرف الأعلى من قمة ايفريست في دولة النيبال المجاورة، وتبدو القمة وكأنها قطعة من السماء أكثر منها جزءا من الهملايا.

ويمكن أن تكون دارجيلي التي تقع على ارتفاع 7 آلاف قدم فوق مستوى البحر، باردة في الليل بحيث إن قرية الماء الحار قد أصبحت منذ وقت طويل جزءا من أدوات النوم، والقروء الوحشية هي أيضا سارق معتاد ورفيق نوم محتمل، وهناك ملاحظة في غرفة فندقني تنصح بشدة بالتأكد من غلق النوافذ وقت النوم لمنع المعتدين الغاضبين.





Delivery man

الحمال



Knitting lady

الحائكة

وبالرغم من أن المنتجات اليدوية هي النشاط الأساسي، فإن المركز أيضا يقوم بتدريب الحرفيين ويدير ماوى للأيام ودارا للعجزة. وكان هناك أربعة عمال فقط عندما تأسس المركز. ولكن هناك اليوم 650 لاجئا وضعف هذا العدد قد خرجوا من المركز ليؤسسوا أعمالهم الخاصة في منطقة دارجيلي. والممثل الشهير ريتشارد كير، والذي هو مؤيد للثبنت، يتردد كثيرا على المركز.

وعودة أخرى إلى الساحة الرئيسية، حيث غربت الشمس وغادر الأهالي والزوار مقاعدهم ليبحثوا عن مكانات أكثر دفئا. والليل الشتوي ليس بعيدا، وهذا وقت ملء القرية بالماء الحار وغلق الشبايبك. لقد كانت دارجيلي النقطة الوسطى في رحلتنا في شمال شرق الهند، وأما المناطق الأخرى، فكانت:

### سيكم

تبعد عن دارجيلي بثلاث ساعات، وتحتاج إلى إجازة خاصة لكي تزور هذه المنطقة المقيدة، بالإضافة إلى تأشيرة الهند، وهي عاصمة غانكوك وهادئة ولا يتجاوز تعداد نفوسها 50 ألف نسمة وبيوتها منتشرة على سفوح الهملايا.

وجبل كانشينجونغا، ثالث أكبر قمة في العالم، يهيمن على المكان. سيكم تسير بسرعة لتحتل مكانا ساخنا في الوجهات السياحية الهندية، فهي مليئة بالتصوف، ومغطاة بالغابات الكثيفة ومحروسة ←

اعتبرتها اليونسكو جزءا من التراث العالمي، وهو التقدير الوحيد الذي منح لماكنة، ويستطيع المرء أن يركب القطار من هنا إلى سيليجوري، لمدة ساعتين باتجاه الجنوب، مع هدير الماكنة وهي تسير على ارتفاعات تتراوح بين 500 قدم إلى 7 آلاف قدم. وقد تم الانتهاء من إنشاء الخط الضيق للقطار في عام 1881، وكانت الوسيلة الوحيدة قبل ذلك التي تربط دارجيلي ببقية الهند هي الطريق الجبلي الوعر، والماكنات البخارية الأصلية ما زالت تستخدم، ولكن على نحو بطيء، وهي تمر عبر مناطق ذات أسماء لطيفة، مثل "نقطة الشقاء"، و"الزاوية المثيرة". وخلال الرحلة تكون الهملايا بمثابة خلفية مدهشة، ولكن، وكما هو الأمر مع معظم المدن الأخرى، فربما يكون من الأفضل اكتشاف دارجيلي مشيا، ونفوس دارجيلي حوالي 750 ألف نسمة، ولكن نفوسها قد ازدادت ثلاث مرات منذ آخر زيارة لي قبل عشر سنوات. ولكن المسجد الرئيسي المسمى "جوراستا"، والطريق الضيقة الملنوبة التي تنحدر منه، لم يتغيرا كثيرا. توقفت عند نفس المصرف الذي صرّفت فيه فلوسي قبل عشر سنوات، وكان علي أن أوقّع ما يبدو أنه نفس السجل المتعفن الأزرق قبل أن أتمكن من الدخول في غرفتين صغيرتين في الطابق الأعلى لكي أحصل أخيرا على روبياتي (الروبية عملة هندية).

وتمشيت في الشوارع الجانبية، فمررت بعدد من الأعمال المعتادة ونظرت إلى الباعة على الجانبين (وربما يكونون هم نفس الأشخاص الذين رأيتهم من قبل) وهم يغيرون بضائعهم من القبعات الصوفية والملاعق في النهار الباكر إلى النظارات الشمسية وأحذية الصندل في الظهيرة.

وعلى طول الطريق، كان هناك "عمال النقل" ونقل الفحم" كما يسميهم الأهالي، ومنظرهم معتاد في الهملايا، وهم يعملون عملا حرا كناقيلين ينقلون الأكياس الضخمة من الحاجيات على ظهورهم، وهم يمشون محدودي الظهر وقد لفوا الحبال التي يربطونها بالأكياس على جباههم لكي يوزعوا الثقل فيخفف، وعليك أن تدفع لهم بحسب المسافة والثقل.

وهناك عدد من الأديرة على أطراف المدينة، وأشهرها هو دير يغا شويلينغ التبتية الذي بني عام 1875 والذي يحتوي على تمثال ضخمة جدا لبوذا بتقاسيم جليلة في وجهه، في حال أن أغلب النماذج التبتية تظهره بمنظر عبوس.

وأصل التسمية دارجيلي جاءت من دير بوتيا بستتي، وكان الرهبان الأوائل يشيرون إلى المنطقة بـ"دورجي-لنغ"، والتي يمكن ترجمتها بشكل غير دقيق كـ"بلاد البرق"، ثم جرى تحريف الاسم وفق النطق الإنكليزي فأصبح على ما هو عليه الآن.

وبالرغم من أنه يوجد فقط 5 آلاف تبتية يعيشون في دارجيلي، فإن تأثيرهم قوي، ويرجع ذلك بصورة رئيسية إلى مركز المساعدة الذاتية للتبتيين على منحدرات التلال المحيطة بالمدينة، وافتتح المركز في عام 1959 بعد خروج الديلي لاما وأتباعه من التبت عقب احتلالها من قبل الصينيين.



Tea picker

صانع الشاي

الصدمة الخفيفة. والسواق يتبادلون شتائم سيئة ويستمررون بالسب. كلكتا، مثل الهند، ليست بسيطة وليست مضجرة إطلاقاً. ■  
(دومينيك ميرل كاتب سياحي ومستشار مقرة مونتريال)

ركاب تجر باليد، وكلها تتنافس على مساحة من الأرض. والضوء الأحمر والأخضر يعنيان نفس الشيء؛ امش على حذر، وكل مسيرة هي اصطدام على وشك الحصول. أو ربما مصادمات خفيفة. ولا أحد يتوقف، أو يستطيع التوقف، لمجرد الاحتكاك أو

بكوكبة من "القمم المقدسة". إنها جنة لسياحة البيئة، حيث إنها موطن لنحو 4 آلاف نوع من النباتات، وأغلبها نادرة.

## ترايبورا

ترايبورا، ثاني أصغر ولاية في الهند، محاطة فعلياً بينغلابيش، وشمسكة بـ"الهند الأم" عبر قطعة من الأرض بمناخ الجبل السري. وكانت ترايبورا يوماً ما مملكة مستقلة، ولكنها تبعت الهند منذ 1949. وثلك سكانها البالغ عددهم 1.3 مليون نسمة هم من أتباع عشائر التلال، وقد زرنا إحدى القبائل المكونة من 500 شخص وتدعى "ريانغ".

إنهم يعيشون حياة بسيطة، ينامون عند حلول الظلام، يفيقون مع طلوع النهار ويعملون طوال اليوم في الحقول على منحدرات التلال. ولكل عشيرة لغتها وتقاليدها. والأبنية الجذابة في ترايبورا هي نير محل. وهو قصر من عالم الأساطير، وبالتعبير الحرفي هو قصر مائي في وسط بحيرة، بني في عام 1930، وكان المقر الصيفي للمهراجا.

## آسام

آسام التي نفوسها 32 مليون نسمة، هي أكبر الوجهات السياحية في الشمال الشرقي، وهي موطن الكركدن (وحيد القرن)، وهو رمز المقاطعة، وهذه هي مخلوقات جميلة وقبيحة في آن واحد، وكادت أن تنقرض في عام 1900. ولم يبق منها إلا ثمانية عندما قامت زوجة الحاكم الإنكليزي للهند بحملة لحماية الحيوانات. وهناك اليوم قرابة الألفين من وحيد القرن في محمية كازيرنكا في وسط آسام. لقد زرنا المحمية وكان من المقرر أن نركب الفيلة لنذهب إلى مشاهدة وحيد القرن ولكن قيل لنا إن الفيلة ليست حاضرة.

وكما عرفنا فيما بعد فإن الفيلة كانت تستخدم في حملة تعداد وحيد القرن، والقائمون بالتعداد قد فضلوا هذه الوسيلة الراقية في عملهم، واستطعنا أن نطوف في المحمية عن طريق شارع مغبر فرأينا وحيد القرن والفيلة عن بعد. وعاصمة الولاية، كواهاتي، ونفوسها 2.5 مليون تقع على ضفاف نهر براهماپوترا، واحد من الأنهار الأربعة الكبيرة في العالم. مزارع الشاي في آسام التي أوجدها البريطانيون تنتج أكثر من نصف محصول الشاي في الهند.

## كلكتا

لقد بدأنا جولتنا وأنهيناها في كلكتا، وهي المدينة المطعون بسمعتها والتي يسيء البعض فهمها والتي تستعصي بشكل خاص على الوصف. وهناك أحياء في المدينة تجد في كل زاوية منها مهرجاناً للحياة، وفي صورة واحدة تستطيع أن تجمع ما بين واحد يخلق، وآخر يغسل الثياب، وبائع أطعمة، وحاو، وصاحب عربة دفع وهو يأخذ استراحة لشرب الشاي، وغيرهم. وتتكون المواصلات من عربات بأشكال وأحجام متعددة، ومنها ما يبدو أنه قد ألصق ببعضه في ذلك الصباح، وأبقار، وعنزات، وكلاب، ومارة، وعربات